بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح :
الثالث: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ شَكَ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ.

هذا هو الناقض الثالث من نواقض الإسلام مما ذكره شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قال: «الثالث: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ يَشْكُ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ» هذه أمور إن وُجِدَتْ في الإنسان كان كافراً بسبب وجودها فيه، وهي: أن لا يكفر المشركين ؛ أي: لا يعتقد كفرهم أو لا يقول بكفرهم أو لا يحكم بكفرهم مع حكم الله سبحانه وتعالى بكفرهم وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك، فمن قال: "لا أكفرهم" أو "لا أحكم بكفرهم" أو "لا أعتقد كفرهم" أو "لا أقول بكفرهم" أو "هم ليسوا عندي كفارا" ؛ مع أن الله عز وجل كفرهم والرسول صلى الله عليه وسلم كفرهم فإنه كافر. كمن يقول مثلاً: "لا أعتقد كفر النصارى" مع أن الله عز وجل قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: 73]، أو قال: "لا أعتقد كفر اليهود" مع أن الله سبحانه وتعالى حكم بكفرهم في مواضع من كتابه، أو قال: "لا أعتقد كفر المشركين" الذين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى ويتخذون الأنداد والشركاء، من قال: "لا أعتقد كفرهم" فإنه يكفر بذلك، أو قال: "لا أعتقد كفر المجوس، أو كفر الملاحدة، أو كفر المنافقين" أو غيرهم ممن جاء القرآن ببيان كفرهم وجاء في السنة كذلك ببيان كفرهم.

فمن لم يعتقد كفر من كفره الله أو كفر من كفره رسوله صلوات الله وسلامه عليه فإنه كافر بالله العظيم؛ لأنه رادٌ لكتاب الله عز وجل، ورادٌ لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومعارضٌ لحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، وغير محققٍ شرط التوحيد والإيمان أو أساس التوحيد والإيمان وشرط قبوله ؛ وهو أن يكفر بما يُعبد من دون الله جلّ وعلا ويبرأ من أهل الكفر، وإذا لم يعتقد كفرهم كيف تكون البراءة من الكافرين؟! وكيف يبغضهم؟! وكيف يحقق أحكام الشرع المطلوب تحقيقها بين المسلم والكافر ، وهي أحكام كثيرة جاء بيانها في الكتاب والسنة ، فكيف تُطبَّق إذا لم يعتقد كفرهم أو لم يؤمن بكفرهم!؟

ولهذا فإنَّ تعطيل هذا الحكم وعدم الإيمان به -ألا وهو كفر الكافر- يترتب عليه تعطيل أحكام شرعية كثيرة جداً، يكون الحكم عليها بالإلغاء والتعطيل وعدم إعمالها ؛ كقوله صلوات الله وسلامه عليه على سبيل المثال: ((لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ)) ؛ إذا كان لا يحكم بكفره كيف يطبق الحكم؟! وكون الكافر لا يُعَسَّل ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدْفَن في مقابر المسلمين كيف يُطَبَّق هذا الحكم وهو لم يعتقد كفره؟! قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((إِذَا لَقِيتُمْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَلَا تَبَدُّوهُمْ بِالسَّلَامِ)) إلى غير ذلك من الأحاديث التي تتعلّق بحال المسلم مع الكافر، فإذا كان لا يعتقد كفر الكافر كيف تُطَبَّق هذه الأحكام الشرعية التي دلَّ عليها كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه؟!!

فمن أمور الإسلام العظيمة أن يعتقد المسلم كُفْر من كَفَره الله، وكُفْر من كَفَره رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل الواجب أن نعتقد في هذا الباب أنّ الحكم بالكفر ليس لأحد إلاّ الله جلّ وعلا، ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المبلّغ عن الله عزّ وجلّ، فليس لأحد أن يحكم على أحد بكفر أو شرك أو نفاق أو غير ذلك إلاّ بناءً واستناداً على حكم الله وحكم رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فالأمر لله عزّ وجلّ، والحكم حكم الله جلّ وعلا ، ومن كَفَره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبَيَّن كفره عزّ وجلّ في كتابه فهو كافرٌ يجب أن يُعْتَقَدَ كُفْرُهُ وأن يُقَالَ بكفره، فإذا قال قائل: "النصارى كفّار، أو اليهود كفّار، أو المجوس كفّار أو المنافقين كفّار" هذا ليس حكماً جاء به من عند نفسه، وإنما حكم قرأه في كتاب الله، وقرأه في سنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ واعتقد وآمن بما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، بل هذا واجبٌ من واجبات الدّين وأساس في الإيمان لا يتحقّق إلاّ به، ولا يكون مستمسكا بـ«لا إله إلاّ الله» ولا من أهلها إلاّ بالإيمان به -بكفر الكافر- ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآية التي تلي آية الكرسيّ قال: ﴿فَمَنْ يُكْفِرِ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] قال: ﴿فَمَنْ يُكْفِرِ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ أي: بـ«لا إله إلاّ الله»، فلا يكون العبد من أهل «لا إله إلاّ الله» المستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها إلاّ إذا أتى بهذين الركنين وحقّق هذين الأساسين : الكفر بالطّاغوت، والإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. و«الكفر بالطّاغوت»: هو البراءة من كلّ ما يُعْبَد من دون الله عزّ وجلّ والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ)) وقال: ((مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)).

وقد جعل لنا ربنا عزّ وجلّ الأسوة في هذا الباب والقدوة إمام الحنفاء خليل الرحمن عليه صلوات الله وسلامه، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] ، فكيف يبغض الكافر

ويعاديه وهو لا يعتقد كفره؟! ولهذا فإنَّ ممَّا ينتقض به إسلام المرء عدم اعتقاده كفر الكافر أو عدم إيمانه بكفر من كفره الله سبحانه وتعالى ورسوله.

وهذه الأحكام أحكاماً شرعية؛ إيمان العبد بالكتاب والسنة يستوجب أن يؤمن بها وأن يعتقد بها، وهو جزء من إيمانه بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وتبيان هذه الأمور وتوضيحها إنما يتلَّقَى من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، جميع هذه الأسماء تُتَلَقَى تُعَرَّفُ معانيها من الكتاب والسنة ؛ المؤمن، التقي، البر، المحسن، الصادق إلى غير ذلك، وكذلك أسماء الكفر والفسوق والعصيان تُعَرَّفُ بدلائل وشواهد الكتاب والسنة؛ الكافر، والمشرک، والمنافق، والمرتد وغير ذلك، هذه أحكام شرعية وجاء ببيانها وإيضاحها في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، فمن لم يعتقد بما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام من أحكام فإنه كافر بكتاب الله عز وجل وبسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، غير مؤمن بالله عز وجل .

قال: «مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ» أي: لم يعتقد كفر المشركين وكفر من يعبد غير الله سبحانه وتعالى؛ من الجوس واليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة وغيرهم، فكل هؤلاء كفار، وكل هؤلاء مشركون بحكم كتاب الله عز وجل وحكم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة يقول الله عز وجل فيها: الكافرون، المشركون، المنافقون، آيات كثيرة: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ويكون المراد بالظلم: ظلم الكفر ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ويراد بالفسق: الفسق الذي هو الكفر الناقل من الملة، هذه أحكام جاءت في القرآن، إذا كان الله يقول عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ثم يقول قائل: "لا أعتقد كفرهم، أو لا أؤمن بكفرهم، أو لا أقول بكفرهم، أو ليسوا عندي كفاراً، أو لا أرى ذلك " أو يقول: "هذا الحكم أرى أنه شديد" أو "قاسي" أو "غير صحيح" أو "حكم غير مقبول" أو "لا أتقبل هذا الحكم" أو نحو ذلك، فهذا رد لحكم الله ، والحكم لله سبحانه وتعالى العليّ الكبير، وهؤلاء الذين حكم الله عز وجل بكفرهم، وحكم بكفرهم رسوله عليه الصلاة والسلام قامت بهم حقيقة الكفر التي ينتقل بها الشخص من الملة ، ووُجِدَ فيهم نواقض الإسلام التي ينتقض بها إيمان الشخص، ولا يكون من أهل هذا الدين العظيم ، فقامت بهم حقيقة الكفر فهم أهله وليسوا من أهل الإسلام ، ولا يُحْكَمُ عليهم إلا بالكفر الذي حكم الله عز وجل عليهم به وحكم عليهم به رسوله عليه الصلاة والسلام .

وقوله: «لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ» أي كل مشرك حكم الله عز وجل بكفره وحكم بكفره رسوله عليه الصلاة والسلام، واليهود مشركون؛ من أعمالهم عبادة غير الله، والنصارى مشركون؛ من أعمالهم عبادة غير الله؛ يعبدون المسيح ويعبدون أمه مريم عليها السلام ، يعبدون غير الله، واليهود يعبدون عُزيراً ويقولون هو ابن الله، والجوس كذلك عبدة لغير الله عبدة للنار وغيرها، والمشركون أيضاً عبدة لغير الله؛ يعبدون الأصنام والأوثان والأنداد، ويعبدون الموتى،

ويعبدون الشمس والقمر، يعبدون غير الله، والذي يعبد غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَتَّخِذُ مَعَ اللَّهِ الشُّرَكَاءَ وَالْأَنْدَادَ
يُصْرَفُ لَهُمْ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ فَهَذَا مُشْرِكٌ وَكَافِرٌ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالَّذِي حَكَمَ بِكُفْرِهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّذِي
حَكَمَ بِكُفْرِهِ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَمَنْ لَمْ يَكْفُرِ الْمُشْرِكِينَ فَهُوَ كَافِرٌ، مَنْ لَمْ يَقُلْ بِكُفْرِهِمْ أَوْ لَمْ يَحْكَمْ
بِكُفْرِهِمْ أَوْ لَا يَرَى كُفْرَهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ.

قال: «أَوْ يَشْكُ فِي كُفْرِهِمْ» أي يشك في كفر من حكم الله بكفره أو حكم رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بكفره،
كَأَنَّ يَقُولُ قَائِلٌ مِثْلًا: "أَنَا عِنْدِي تَرَدُّدٌ فِي كُفْرِ الْيَهُودِ أَوْ كُفْرِ النَّصَارَى؛ الْيَهُودُ قَوْمٌ نَزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ وَهُمْ أَهْلُ
كِتَابٍ، وَالنَّصَارَى قَوْمٌ أَهْلُ كِتَابٍ، نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْإِنْجِيلُ فَهَمُ أَهْلُ كِتَابٍ، فَأَنَا مُتَرَدِّدٌ فِي الْحُكْمِ بِكُفْرِهِمْ، أَوْ أَشْكُ فِي
كُفْرِهِمْ وَأَهْمُ كَفَّارٌ، أَوْ لَا أَدْرِي هَلْ هُمْ كَفَّارٌ أَوْ لَيْسُوا كَفَّارٌ الْأَمْرُ لَيْسَ مُتَيَقِّنًا عِنْدِي "؛ فَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ،
قَامَ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ فِي كُفْرٍ مَنِ حَكَمَ اللَّهُ بِكُفْرِهِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّ هَذَا شَكٌّ فِي حُكْمِ اللَّهِ وَشَكٌّ فِي حُكْمِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَنْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ أَوْ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمَهُ أَوْ شَكَّ فِي حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ
حَكَمَ رَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الْإِقْرَارُ وَالتَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ
وَجَاءَ عَنِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَشَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ هِيَ تَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ وَطَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ
وَالانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجْرُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ .

قال: «أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَّرَ» أي اعتقد صحة مذهب الكفار، أو قال مثلاً: "دين اليهود دينٌ صحيحٌ أو
عقائدهم صحيحة، أو الأشياء التي يؤمنون بها والأعمال التي يمارسونها صحيحة"، أو قال: "النصارى أديانهم
صحيحة، أعمالهم صحيحة، عبادة النصارى عبادة صحيحة"، أو قال: "العمل الذي يفعله المشركون عملٌ
صحيح ليس كفرًا وليس شركًا". «صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ» أي اعتقد صحة عقائدهم الكفرية فهو مثلهم وعقيدته
عقيدتهم، فَمَنْ يَصَحَّحُ مَذَاهِبَ الْكُفَّارِ وَعُقَائِدَ الْكُفَّارِ وَأَعْمَالَ الْكُفَّارِ فَهُوَ مِنْهُمْ، سِوَاءً صَحَّحَهَا جَمَلَةً كَأَنَّ يَقُولُ:
"عُقَائِدَ الْكُفَّارِ أَوْ عُقَائِدَ الْيَهُودِ صَحِيحَةٌ، عُقَائِدَ النَّصَارَى صَحِيحَةٌ، دِينُ الْيَهُودِ صَحِيحٌ، دِينُ النَّصَارَى صَحِيحٌ"
؛ سِوَاءً صَحَّحَهَا جَمَلَةً أَوْ صَحَّحَ بَعْضَ عُقَائِدِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ وَلَوْ وَاحِدَةً مِنْ عُقَائِدِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ النَّاقِلَةَ مِنَ الْمَلَّةِ إِنْ
صَحَّحَهَا يَكُونُ كَافِرًا، مِثْلُ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: "قَوْلُ النَّصَارَى عَيْسَى ابْنِ اللَّهِ هَذَا صَحِيحٌ" فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، أَوْ لَوْ
قَالَ: "أَشْكُ فِي أَنَّ هَذَا كُفْرٌ" يَكْفُرُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَضَى بِكُفْرِهِ هَذَا وَأَنَّ كُفْرًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاقِلٌ مِنْ
مَلَّةِ الْإِسْلَامِ.

فهذا ناقضٌ للإسلام: «مَنْ لَمْ يَكْفُرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ يَشْكُ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذَاهِبَهُمْ كَفَّرَ»، وَالْمُسْلِمُ الَّذِي رَضِيَ
بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَبًّا، وَبِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ هُوَ مَنْ قَامَتْ بِهِ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ،
وَمِنْ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ الْبِرَاءَةُ مِنَ الطَّاغُوتِ، الْبِرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنْ أَهْلِهِ وَمَعَادَاتِهِمُ

وَبُغِضَهُمْ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ؛ لِأَنَّهُ - كَمَا تَقَدَّمَ - مُصَادِمٌ لِحَقِيقَةِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ
كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَنَكْتَفِي بِهَذَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ .